الحمد لله الذي جعل أحب بقاع الأرض إليه مساجدها، ووصف روادها بالمؤنين به الموقنين بلقائه، ووعدهم بالهداية في الدارين، والصلاة والسلام على رسول الله الذي دل إلى رفعة الدرجات وتكفير السيئات بكثرة الخطى إلى بيوت الله، صلى الله عليه على من بيوتاته لصيقة بيت الله وعلى من عاش فيها من زوجاته الطاهرات وجال فيها من أصحابه الأطهار، وعلى من تبعهم بإحسان واقتفى أثرهم في إيمان صلاة دائمة إلى يوم يظل الله تعالى المعلقة قلوبهم ببيته في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله.

أيها المباركون: الوصية بتقوى الله تعالى في السر والعلانية، فإنها تقي العبد من ترك المأمور ومن الوقوع في المحظور ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[الحشر:١٨]

أيها المسلمون: تؤسس المساجد على (تقوى الله تعالى ورضوانه) يحصل بهما طهارة العباد من الكفر والنفاق والذنوب والآثام ومن النجاسات والأحداث ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ ۞ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَى تَقْوَى مِنَ اللّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَانَهُ عَلَىَ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[التوبة:١٠٨-١٠٩]

فأما تقواه: فهو يعني إخلاص العمل لله، وإفراده وحده بالذل والخضوع والانكسار، فالمساجد لله وحده فلا يُعبد إلا الله، ولا يدعى إلا الله، ولا يُسأل إلا الله، ولا يُستغاث إلا بالله، ولا يُصرف شيء من العبادة إلا لله -جل في علاه ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلاَ تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾[الجن:١٨]

وأما الرضوان: فاتباع النبي -عليه الصلاة والسلام-؛ إذ لا طريق إلى نيل رضوان الله إلا باتباع الرسول -عليه الصلاة والسلام-، مع الحذر الشديد من البدع المحدثات والأهواء التي ما أنزل الله -تبارك وتعالى- بها من سلطان فعن عائشة -رضي الله عنها- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال في مرضه الذي مات فيه: "لعن الله اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مسجدًا" فلا يعبد الله تعالى إلا بما شرعه على لسان رسوله وفعله.

وإذا تحصل هذان الأمران من تقوى الله تعالى ورضوانه الذي هو سبيل رسوله فإن الأجور المكتوبة لعمارها عند الله تعالى خير وأبقى وهو سبحانه أعظم أجراً قال صلى الله عليه وسلم: "من بنى مسجدًا لله كمفحص قطاة، أو أصغر، بنى الله له بيتًا في الجنة"(صححه الألباني)؛ فالقطاة نوع من أنواع الحمام، والمفحص: هو موضعها الذي تجثم فيه وتضع بيضها، فهذا في حق من بنى هذا القدر اليسير أو ساهم فيه والله تعالى واسع الفضل لمن أعطى أكثر من ذلك وأجزل

أيها المسلمون: عمارة بيوت الله تعالى ليست مقصورة على تشييدها أو رعايتها المادية في تهيئة وإعداد، فهناك عمارة لها بالعمل الصالح والتقرب إلى الله تعالى الذي هو الغاية من بنائها والمقصود من عمرانها ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللّهِ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللّهَ فَعَسَى أُوْلَئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ [التوبة:١٨]

وهؤلاء من قال الله تعالى في وصفهم: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ ۞ رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاَ بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاَةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبصَارُ ۞ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاء بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور:٣٦– ٣٨].

وقد أعظم الله تعالى لهؤلاء العمار الثواب وضاعف لهم الأجور من خروجه من منزله وإتيانه بيت الله تعالى حتى فراغه منه وعودته ثبت في صحيح مسلم عن النبي -صلى الله

عليه وسلم- أنه قال" :أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَرْفَعُ اللهُ بِهِ الدَّرَجَاتِ، وَيُكَفِّرُ بِهِ الْخَطَايَا؟" قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ" :كَثْرَةُ الْخُطَى إِلَى الْمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلَاةِ بَعْدَ الصَّلَاةِ، وَإِسْبَاغُ الْوُضُوءِ عَلَى الْمَكَارِهِ."

وعن أبي هريرة أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: "الملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلاه، ما لم يحدث: اللهم اغفر له، اللهم ارحمه، لا يزال أحدكم في صلاة ما دامت الصلاة تحبسه، لا يمنعه أن ينقلب إلى أهله إلا الصلاة"

أيها المؤمنون: المسجد بيت الله تعالى وأنتم ضيوفه ونزلاؤه فما أعظم المضيف وما أكرم الضيف عند الله تعالى.

فمن منع ضيوف الله تعالى دخوله بيته يتعبدونه ويذكرونه يرجونه ويدعونه فقد أعظم الظلم على نفسه ولا أحد أشد جراءة على فعله ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَاجِدَ اللّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُوْلَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَا إِلاَّ خَآئِفِينَ لهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيم﴾[البقرة:١١٤]

قال ابن سعدي في تفسيره: "لا أحد أظلم وأشد جرما، ممن منع مساجد الله، عن ذكر الله فيها، وإقامة الصلاة وغيرها من الطاعات ... [يدخل في ذلك] الحسي والمعنوي، فالخراب الحسي: هدمها وتخريبها، وتقذيرها، والخراب المعنوي: منع الذاكرين لاسم الله فيها، وهذا عام، لكل من اتصف بهذه الصفة... من أنواع الظلمة، الساعين في خرابها، محادة لله، ومشاقة... وإذا كان لا أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه، فلا أعظم إيمانا ممن سعى في عمارة المساجد بالعمارة الحسية والمعنوية"

جعلنا الله وإياكم من عمار بيته، وتعلقت قلوبهم بمناجاته والخضوع له، وأظلنا في ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله.

قد قلت ما سمعتم واستغفر الله لي ولكم من كل ذنب فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله الذي أحب عباده المتطهرين ، والصلاة والسلام على الرسول الأمين الرؤف الرحيم علم امته كل شيء مما يحتاجون في أمور إيمانهم وعملهم.

أيها المباركون: يتصل بالمسجد وعمارته أمران رئيسان: التطهير والزينة، ترجع إليهما أحكام من الشرع كثيرة:

فأما التطهير فقد قال تعالى : ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾[التوبة:١٠٨] و"أمر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ببناء المساجد في الدور، وأن تنظف، وتطيب"(رواه الترمذي، وصححه الألباني كما في حديث عائشة.

والتطهير: أمر عام يشمل طهارة المسجد ومحل الصلاة، ويشمل طهارة ثوب المصلي وبدنه، كما يشمل طهارة قلبه وسلامة صدره.

وأما الزينة فقد قال الله تعالى: ﴿يَابَنِي آدَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾[الأعراف:٣١] واللفظ يعم الواجب من ذلك كستر العورة والمستحب مما هو راء ذلك من التطيب والمظهر الحسن.

وأمر النبي صلى الله عليهم من وقع في شيء ناقض هذين المعنيين باعتزال المسجد وأخبر أن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم، فقال "من أكل من هذه البقلة، الثوم - وقال مرة: من أكل البصل والثوم والكراث فلا يقربن مسجدنا، فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم"(متفق عليه) وهذا معنى عام في كل ما شابهه مما تقع به أذية المصلين.

ولأجل هذين المعاني الشريفة حفت الشريعة المسجد بجملة من الأحكام من المأمورات في السنن والآداب وأخر من المنهيات هي في باب المكروهات تحكي تعظيمه وترفع من شأنه، من ذلك معاشر المسلمين:

ما شُرع لكل مسلم عند دخل بيت الله أن يقول" :بِسْمِ اللهِ، والصلاة وَالسَّلاَمُ عَلَى رَسُولِ اللهِ، اللَّهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ"

والأمر بصلاة ركعتين عند دخولها: وقد سماهما العلماء بـ"تحية المسجد"، والأصل فيهما قوله -صلى الله عليه وسلم-: "إذا دخل أحدكم المسجد فليركع ركعتين قبل أن يجلس"(متفق عليه).

ونهيه صلى الله عليه وسلم السؤال فيها والبيع والشراء قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: "من سمع رجلًا ينشد ضالة في المسجد فليقل: لا ردها الله عليك؛ فإن المساجد لم تبن لهذا"(رواه مسلم)،و قال -صلى الله عليه وسلم-: "إذا رأيتم من يبيع أو يبتاع في المسجد، فقولوا: لا أربح الله تجارتك"(رواه الترمذي، وصححه الألباني) ويدخل في ذلك البيوع المعاصرة عبر تطبيقات الجوال.

ومما يكره أن تتخذ المساجد طرقًا؛ فيمر فيها دون أن يصلي فيها شيئًا؛ جاء من حديث ابن مسعود أنه سمع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وهو يقول: "إن من أشراط الساعة أن يمر الرجل في المسجد لا يصلي فيه ركعتين"(رواه ابن خزيمة، وصححه الألباني).

و بسط هذه الأحكام المتفرعة مما يطول به المقام، وحسبنا أن أشرنا إلى أصول المعاني وتفاصيلها بأدلتها تأتي في مقامات أخر.

اللهم اجعلنا ممن اتقاك واتباع سبيل رسولك، اللهم وفقنا لهداك واجعل أعمالنا في رضاك. اللهم واجعلنا ممن عمر بيتك بالطاعات وشيد بناءه بالقربات، واغفر لنا ولوالدينا الزلات والهفوات.

اللهم عفوك ورضاك وشئابيب رحماتك على من شيد هذا الجامع، وتوفيقك وهداك على القائمين عليه بالعناية والرعاية، ولطفك وعنايتك بأهله ورواده من الصالحين والصالحات.

اللهم وفق خادمين الخرمين بتوفيقك وأيده ونائبه بتأييدك، واجعل بلدنا سخائا رخائاً أمناً وإيماناً فلك اللهم الحمد والشكر.

اللهم وكن للمستضعفين من المؤمنين في كل مكان مؤيداً ونصيراً وظاهراً ومعيناً.

عباد الله فإن خير أيامكم يوم الجمعة فأكثروا فيه من الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن صلاتكم تبلغه.

اللهم صلِ وسلم وبارك على نبينا محمد عدد ماذكره الذاكرون وعدد ما غفل عن ذكره الغافلون.

وآخر دعوانا الحمد لله رب العالمين.